

وكان هذا الجمع هو المادة الخام للغويين والتحويين ، فاما النحويون والصرفيون فقد برعوا في القياس الى أقصى حد ، فكل علمهم تبادل . نظروا الى الاعم الالغلب فجعلوه قاعدة وجعلوا ما جاء على خلافها شاذًا لا يصح لنا الاتيان بهائه ، فالعرب لم تلتزم مثلاً نصب اسم ان ولا رفع خبرها ولا عطف المرفوع على المرفوع والمنصوب على المنصوب وهكذا ، بل ورد في القرآن رفع اسم ان في قوله تعالى : « ان هذان لساحران » (7) . وجاء فيه : « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » (8) . وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابرين والنصارى » (9) . فنعدوا قواعدهم على الكثير الفالب . وكذلك الصرفيون في قواعد الاعلل والإبدال واشتقاق صيغ اسم الفاعل والفعول والزمان والمكان ..

فضيبلوا بذلك اللغة في اختصاصهم ، وكل هذا عن طريق القياس ، أما اللغويون فنادت عليهم المحافظة . وقلت فيهم الحرية ، وليس الاختلاف في أن اللغة توقيفية أو غير توقيفية الا مظهرها من مظاهر المحافظة والحرية ، فمن قال بأنها توقيفية او بعبارة أخرى من وضع الله اصبح عليها حلة من التقديس والتزمها من غير تصرف بها . ومن قال أنها غير توقيفية او بعبارة أخرى من وضع البشر كان أكثر حرية في التصرف فيها .

فاللغويون كثيراً وقتو عند ما ورد وكانتوا محافظين ، ومن هؤلاء جامعوا اللغة كلامهم وابن الاعربى وابن زيد ، ثلم يكونوا يستبيحون لأنفسهم ان يقولوا كلمة او يشتقوا اشتقتا الا عن سماع . ومن هؤلاء ايضاً أصحاب المعاجم كالجوهري والنيروزابادى وابن منظور ، ثلم يقيسوا على ما روا ، وان اختلف بعضهم عن بعض في زيادة الكمية المروية او نقصها ، وكذلك الاستشهاد وتلته ، وذكر اسماء البلاد والاعلام او عنده ونحو ذلك .

وبجانب ذلك قلة من القياسيين او بعبارة أخرى مدرسة القياس وهم أصحاب مذهب (ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) الا ترى انك لم تسمع

(1918) واستمر بجمع بحثى عن هذا النشاط ستة عشر عاماً ثم ظهر مجمع مؤاد الى الوجود وبدأ عمله سنة (1934) وأصدر مجلة باسم (مجلة مجمع اللغة العربية) بعد تغيير اسم المجمع الى هذا الاسم . وتضم المجلة بين طياتها البحوث والمحاضرات التي يلقىها الاعضاء العاملون بالإضافة الى المبطولات الجديدة التي يقرها المجمع في كل دورة يعقدها ، وقد ادرجنا القرارات التي اقرها المجمع في هذا الشأن ثم نبذة مختصرة عن البحوث التي تقدم بها الاعضاء العاملون في المجمع عن القياس و موقفهم منه ، واتينا البحث بخاتمة تتطوى على نتائج .

والحقيقة ان هذه لم تكن اول محاولة ولا ثانية لها ندعى بها لاتنسنا وانا هي صوت يرتفع الى جانب تلك الاصوات التي نادت بضرورة تطوير لغة القرآن لتساير التطور الاجتماعي والحضاري وما يتطلبه من تجديد في اللغة وهذا ما اعتقاده مسايراً لنهج المكتب الدائم لتنسيق التعریف وما توفيقى الا بالله ومنه استمد العون .

شاكر طوفان

10 ايلول سبتمبر 1972

(لحنة تاريخية عن القياس)

تمهيد للبحث :

بدا العلماء يجمعون اللغة من أنفوا المسرب سواء في الفاظها او اساليبها ، وقد بذلوا في ذلك جهداً مشكوراً ، وتحملوا في ذلك من العذاب مالاً يستطيعه الا ذوو الهم العالية ، ويفضلاً عن ياخذوا عن العرب الغرباء الذين لم تفسدهم الحضارة ولا الاختلاط وعدوا هذه التبائل اصح من تؤخذ عنهم اللغة هم قيس وتميم واسد ثم هذيل وبعض كتاته وبعض الطائيين ، ولم يأخذوا عن غيرهم من سائر قبائلهم كما لم يأخذوا عن حضرى ولا عن سكان البرازى من كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة لسائر الامم الذين حولهم :

(7) سورة طه 20 - 63 .

(8) سورة النساء 4 - 162 .

(9) سورة الحج 22 - 17 .

ما ورد ، فرأى العرب صافت (فعل) من الفعل
للدلالة على السرعة فقالوا :

جمزى لسرعة المسير فناس عليها فقل :
والآن أقصر عن سمية باطلى
وأشعار بالوجلى على مشير
وقال :

على الفرزلى منى السلام فربما
لهموت بها فى ظل مخلة زهر
فماعبوه وقالوا : (لم يسمع من العرب وجلى
ولا غزال) (13) .

وقد هذا وأمثاله في المثلة الثانية لل مجرة ، فما يصبح
من الطبيعي نشوء أخذ ورد حول القياس بين المجيدين
والمانعين أو بين المجددين والمحانظين ، وإن ينتهي
هذا الجدل بنشوء مدرسة القياس ، لها رسومها
ونظمها ، حاولت فرض سيطرتها حتى على أصحاب
اللغة فخطوا بعض الشعراء الجاهليين والإسلاميين
وحكموا على أبيات بالشذوذ لعدم انتظامها على
قواعدهم .

وكان من أعلام هذه المدرسة الخليل وتلميذه
سيبويه وابو على الفارسي وتلميذه ابن جنى . وقد
عاصرت هذه المدرسة مدرسة أخرى في الفقه
تشابهها ، هي مدرسة الرأى ، ولا غرابة في ذلك فالقوم
حينئذ كانوا مدفوعين بحكم الفرورة التي تأسس
بنائهم النكرى تلبية لحاجات الحضارة اذ ذاك .

(من قياس الخليل وتلميذه سيبويه)

لم يكن الخليل أول القياسيين في اللغة ، بل سبقه
من شيوخه من ضرب في القياس بهم ، ولكن الخليل
كان فيهم كما قال ابن جنى : (سيد قومه وكاشف
قناع القياس في علمه) (14) ويعتبر أنه واسع أساس

لكلمة المازنى وابى على الفارسي .

أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا منعول وإنما سمعت
بعضها فقتلت عليه غيره) (10) واليهم يرجع الفضل
في حياة اللغة . الحياة النشيطة حتى أيامنا هذه ،
فقد حافظوا على روحها وتمهدوها بالفداء فنمطت
وبيقت وأظللت نرويها حضارات مختلفة . ومع
انتسابهم جميعا إلى مذهب القياس يتفاوتون فيما
بينهم فيه توسيعا وتضييقا .

لم يكن أرباب القياس على بعد من الأمر ،
فأصحاب اللغة أنفسهم اتسعوا في طردها وتصريفها
واشتقاقها بما سبقوها به أرباب القياس أنفسهم (فان
الاعرابي إذا قويت فصاحتته وسميت طبيعته تصرف
وارتجل ما لم يسبقه إليه أحد قبله) (11) .

هذا رؤيه وأبوه العجاج الراجزان المشهوران
(إنما قاسوا اللغة وتصرفا فيها وأتقنوا على ما لم يأت
به من قبلهما) (12) وحکى أنهم كانوا يرتجلان الناظرا
لم يسمعاها ولا سبقا إليها ، ومن يتصفح شعر
الراجزين يجد مصداق هذا القول .

فالنزعة إلى تعميم القياس قديمة من أيام الخليل ،
وكانت إلى جانبها نزعة محافظه معتدلة يمثلها ابن
تنية ، فقد ذهب في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء)
إلى أنه ليس لتأخر الشعراء (أن يقيس على اشتقادهم
فيطلق ما لم يطلقوا) واستشهد لذلك برأي الخليل ،
فقد ذكر أن الخليل بن أحمد آثاراً رجل فأنشد :

(ترافق العز بنا فارتفعنا)

قال الخليل : (ليس هذا شيئا) فقال الرجل :
كيف جاز لل牧اج أن يقول :

(تتعارض النز بنا فاتعنوسا)

ولا يجوز لي ؟

ويروى عن بشار انه كان يقيس ما لم يرد على

- (10) الخصائص ، ابن جنى ج 1 ص 357 ، كلمة المازنى وابى على الفارسي .
(11) المصدر السابق ج 2 ص 25 .
(12) الاقتراح - السيوطي ص 53 .
(13) في اصول النحو - سعيد الانفانى ص 82 .
(14) الخصائص - ابن جنى ج 1 ص 361 .

(من قياس الفارسي)

اما ابو على الفارسي فهو فارسي الاب عربي الام . مات ببغداد سنة 377 هـ في أيام الطائع لله عن سيف وتسعين سنة . طوف كثيراً في بلاد الشام ، واقام بحلب مدة وخدم سيف الدولة ابن حمدان ثم رجع الى بغداد وخدم عضد الدولة ويقى بها الى ان مات وقد كان معاصر لابن سعيد السيرافي وكان ابو سعيد هذا اكثر من الفارسي رواية وكان الفارسي اكثر منه قياسا حتى لقد قال ابو على الفارسي : (لان اخطئ فـى خمسين مسألة مما بابه الرواية احب الى من ان اخطئ في مسألة واحدة قياسية) وقد قال فيه بعض تلاميذه : (احسب ان ابا على قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع اصحابنا) (16) . وما العلل الا مقدمة القياس .

وكان يقول : ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب فإذا اعربت لفظة اعجمية اجريت عليها احكام الاعراب وعدتها من كلام العرب واجيز الاشتقاد منها كما عرب العرب لفظة الدرهم واشتقوا منه درهمت الخبازى اى صارت كالدرهم وقلوا : رجل مدحراً اي كرت دراهمه (17) .

وكان تلميذه ابن جنى يقرأ عليه كتاباً للمازني ، فلما جاء ذكر قول ابي عنمان في الالحاق المطرد : (ان موضعه من جهة اللام نحو معدد ومدد وشامل وصعور . وجعل الالحاق بغير اللام شاداً لا يقياس عليه مثل : جوهر وبطريق وجداول .. الخ . قال ابو على : (لو شاء شاعر او ساجع او متسع ان يبني بالالحاق اللام اسماء او فعلاء او صفة لجاز له ولكن ذلك من كلام العرب . وذلك نحو قوله : خرج اكرم من ذلك ، وضربي زيد عمروا ، ومررت برجل ضرب وكرم وهو ذلك . فاعتبره تلميذه ابن جنى قائلاً : انتربجل اللغة ارتجالاً ؟ قال : ليس بارتجال لكنه مقيس على كلامهم فهو اذن من كلامهم ثم قال : الا ترى انك تتقول : طاب الخشنان . فتجعله من كلام العرب وان لم تكن العرب تكلمت به هكذا . قال نرففك اياه

المعجم ولوه اول معجم الف في العربية وانه مبتكر العروض لقياس الشعر ، وعلى هذا الاساس لم تستكتر ان يكون لهذا الذهن تلك المرانة المولدة في اللغة والنحو بحيث يرجع اليه الفضل في اظهار معالم القياس ووضع رسومه ومناهجه .

ونجد في كتاب سيبويه وهو من اماء استاذة الخليل انباطاً كثيرة من قياسه مبعثرة في أبواب شتى . وهذه انباط من صنيعه : نسبت العرب الى تهامة فقالت : تهامي على القياس وتهام على غير القياس كما قالت : «شامي» و«شام» . وجعلوا الف تهام بدلاً من احدى ياء النسب ، قال ابن جنى : (فإن تللت ان في تهامة الفا فلم ذهبت الى ان الالف في تهام عوض من احدى الياعين ؟) فقد (قال الخليل في هذا : انهم كأنهم نسبوه الى (فعل او فعل) وكأنهم نكوا صيغة تهامة فاصاروها الى (لهم او لهم) ثم أضافوا (اي نسبوا) فقللوا : تهام . وانما ميل الخليل بين (فعل او فعل) ولم يقطع بأحددهما لانه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً وهو (الشام واليمن) . وهذا الترجميم الذي اشرف عليه الخليل ظناً قد جاء به السماع نصاً :

انشدا ابو على قال : انشدنا احمد بن يحيى
« ثعلب » :

أرقني الليلة بـ رق بالـ تهـم
يا لك بـ رقا من بـ شـمـه لا يـنـمـ
فـانـظـرـ الى قـوةـ تـصـورـ الـخـلـيلـ الىـ انـ هـجـمـ بـهـ
الـظـنـ عـلـىـ الـيـقـيـنـ ،ـ فـهـوـ الـمـنـىـ بـقـوـلـهـ :ـ
(ـ الـلـفـىـ الـذـىـ يـظـنـ بـكـ الـظـ)
ـنـ كـانـ قـدـ رـأـىـ وـقـدـ سـمـعـاـ) (15)

استمر القياس على الطريق ، ذهب فيه الخليل وسيبوه حتى كانت الملة الرابعة للمهجرة ، فبلغ ذروة مجده بآبى على الفارسي وتلميذه ابن جنى ، ونهض به هذان الامان نهضة لم يخط احد بمثلها قبلهما ولا بعدهما حتى اليوم .

(15) الخصائص - ابن جنى ج 2 ص 111 .

(16) الخصائص - ابن جنى : ج 1 ص 208 و ج 2 ص 88 .

(17) نفس المصدر ج 1 ص 357 .

كرفعها ما صار لذلك محولا على كلامها ومنسوبا إلى لفتها) 18(.

392 هـ في خلافة القادر . صحب أستاذ الفارسي اربعين سنة وعاش مدة طويلة بيلات سيف الدولة بحلب حيث ألمى المسائل الطبية ، ونشأت هناك بينه وبين المتبنى صدقة أساسها اعجاب كل منها بمواهب الآخر ، وكان من نتائج ذلك أن شرح ديوان المتبنى ودافع عنه هجمات النقد ، وكان المتبنى يقول فيه : (هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس) ويقول : (ابن جنى أعرف بشعرى مني) 20(.

ونحن نتعرف إلى منهجه في القياس من كتابه (الخصائص) الذي يدور على الفووص على أسرار اللغة الشاملة ويطرد القياس ما استطاع إلى ذلك سبيلا ثم ان اثر الفارسي في تلبيذه يبرز في هذا الكتاب وإن هذا التلميذ الذي لقن هذا المذهب عن أستاذة قد مضى به بعيدا وتقديم إلى الإمام مسافات شاسعة وكان الحائز له على تاليه هو انه رأى الفقهاء وضعوا للفقه أصولا والتكلمين وضعوا للعقائد أصولا ثاروا أن يضع للغة والنحو كذلك أصولا ، فكان بذلك واضع علم جديد يقول فيه : (انه من اشرف ما صنف فيه من علم العرب وأذهب في طريق القياس والنظر واجمه للدلالة على ما أودعته هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ونiet به من علائق الاتقان والصنعة) .

وابن جنى كثيراً بالتجربة اللغوية ، يقللها على وجوهها المختلفة ويذكر التفكير فيها ثم يقابل بين اللغات التي يعرّفها ليكون حكمه الشامل في اللغة العربية حين يرده إلى طبيعة الحس صحّحا إلى حد بعيد ، والظاهر أنه يعرف الفارسية ، فقد عرض لها في حديثه عن اجتماع السلاكين فقال : (ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وان كان في لغة العجم من طريق الحس موضع تلاقى عليه طبائع البشر ويتناكم اليه الاسود والاحمر . وذلك قولهم (ارد) للدقيق و (ماست) للبن فيجمعون بين ثلاثة سواكن الا اتنى لم ار ذلك الا فيما كان ساكنته الاول الفا وذلك ان الاول لما تاريته بضعفها وخفايتها الحركة صارت (ماست) كأنها (ماست) 21(.

وقد كان أبو على الفارسي جريينا إلى حد لم نصل إليه إلى اليوم فكان من رأيه أن الآلة اللينة في الكلمة الثلاثية تكتب الفا مطلقا سواء أكان أصلها واوا أم ياءا وقد علل ذلك بحمل الخط على اللفظ .

من هذا يتضح أن مدرسة القياس حظيت من ثمرات تفكيره بغيض غزير . وحقا ما قال به ابن جنى فيه (ولله هو ! وعليه رحمته مما كان أتوى قياسه وأشد بهذا العلم اللطيف الشريف انسه فكانه إنما كان مخلوقا له . وكيف لا يكون كذلك وقد اقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة ، زائحة عليه ، ساقطة عنه كلنه ، وجعله همه وسديمه ، لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه في منحر ولا يسوم به مطلقا ولا يخدم به رئيسا إلا بأخره وقد حط من انتقاله والقى عصا ترحاله) 19(.

(من قياس ابن جنى)

اما اذا وصلنا الى ابن جنى فقد تبواانا ذروة القياس وفلسفته ولقد كان أعلى علماء العربية كعبا في جميع عصورها وأغوصهم عامة على أسرار العربية وانجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة فيها . وكتابه الخصائص نحو فيه منحى جديدا طريفا يدل على تذوقه للغة وعمقته في فهم أسرارها ومحاولته ملسفتها .

ويعتبر ابن جنى مبتدع نظرية الاشتقاد الكبير ومؤسس علم نطق اللغة ، أما التصريف فهو امامه دون منازع ، وقلما تقرأ كتابا فيه ولا يكون ابن جنى مرجع كثير من مسائله . وكتابه « سر الصناعة » من خبر ما حفظ الزمان من هذا التراث .

ولد بالموصل من اب رومي وتوفي ببغداد سنة

(18) الخصائص - ابن جنى ج 1 ص 358 .

(19) الخصائص ج 1 ص 276 .

(20) معجم الأدباء - ياقوت ج 12 ص 89 .

(21) الخصائص - ج 1 ص 90 .

ابن جنى وكان له فضل كبير فيما سمي بالاشتقاق الكبير وهو الذى سماه بهذا الاسم ، وكان قد تنبه إليه استاذ أبو على الفارسي . قال ابن جنى : (إن إيا على رحمة الله كان يستعين به ويخلد إليه ، لكنه مع ذلك لم يسمه ، وإنما كان يعتاده عند الضرورة ويستروح إليه) . فجاء ابن جنى فوسعه وسماه سمي الاشتقاء المعروفة في أيدي الناس بالاشتقاق الصغير كان يشقق من كتب : يكتب وакتب وكتب ومكتوب ومكتب وكتاب .. الخ . إنما الاشتقاء الكبير يعنيون به حصر أصول الكلمة وتقليلها على وجوهها المختلفة وأن تستخرج منها التباديل والتوافيق وتترن بينها ، كان تأخذ كلمة « كلم » وتحولها إلى : ك م ل م ك ل ، م ل ك ، ل ك م ، ل م ك وتمن النظر فيها لتنظر هل هذه الحروف إذا اجتمعت كلها على نحو ما دلت على شيء واحد يتبعه بنوع تتركيب هذه الحروف : تستخرج مثلاً أن هذه الحروف الثلاثة إذا اجتمعت دلت على القوة وتستخرج معنى القوة من كل ما دلت عليه في أشكالها المختلفة ، وهذا باب عظيم من أبواب أصول اللغة تفوق فيه ابن جنى .

هذا ، وإذا تصفحنا كتاباً من كتب الطبقات في النحو واللغة ومررنا بمئات من تراجم النحويين واللغويين ، استطعنا بعد أمعان قليل أن نلم بما كان للقياس من خطر عند القوم حتى ليتفرد واحد في الملة نيعرب به ، فإذا ترجموا له نصوا على امتيازه هذا ، وتلك ملكرة لم تتوفر كاملة إلا لاعلام قليلين جداً .

(الفصل الأول)

ا - تعريف القياس لغة واصطلاحاً :

1 - المعنى اللغوى :

(قيس) قاس الشيء بقيسه قياساً وقياساً واقتاسه وقيسه إذا قدره على مثاله .

وقد حدا حذو استاذ الفارسي في تعليم القياس وتوسيع طرق الاشتقاء ، وكان يقول : (مسألة واحدة من القياس أقبل وأتبه من كتاب لغة عند عيون الناس) (22) .

ومن اقتضيته عند ما تعرض للأبدال وذكر لغات (فساطط ، فساطط ، فساطط) وان الجمع فيما (فساطط ، فساطط) فقط وذهب بهم إلى أن النساء في فساطط بدل من السين أو الطاء ورجحها بدل السين بقوله : (اذا حكت بأنها بدل من سين (فساطط) ففي شيئاً جيداً : احدهما تغيير ثانية المثلثين وهو اقتبس من تغيير الاول من المثلثين لأن الاستكراه في الثاني يكون لا في الاول والآخر ان السينتين في (فساطط) ملقيتان والطاعين من (فساطط) متصلتان بالف بينهما واستثنى المثلثين ملقيتين أخرى من استثنالهما متفرقين فعلى هذا الاعتبار ينبغي ان يلقى ما يرد من حديث الابدال) (23) .

وقد أراد أن يشرح كتاب يعقوب بن السكري في (القلب والأبدال) على هذا النمط المنهجي لأن معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته) (24) . كما قال :

وابن جنى لم يتخذ القياس مذهباً لنفسه فحسب بل كان يفرى به ويدعو إليه ويحض عليه ويبريح فيه الارتجال فيقول : (للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس ما لم يلو بنس أو ينتهك حرمة شرع) (25) حتى إذا أراك القياس إلى ما لم تنطق به العرب قط ، فليس لك أن ترمي به بل تهدى (لشاعر مولد أو لساجع أو لضورة ، لأن القياس على كلامهم) (26) .

وهذه الكلمة تدل دلالة واضحة على مدى اهتمام ابن جنى بالقياس وقبل أن نختم الكلام عن ابن جنى لا بد أن نقول كلمة عن الاشتقاء وهو من منجزات القياس وهو باب عظيم من أبواب فنون اللغة ابتدأه

(22) الخصائص - ج 1 من 88 .

(23) نفس المصدر - ج 2 من 87 - 88 .

(24) نفس المصدر - ج 1 من 88 .

(25) نفس المصدر ج 1 من 189 .

(26) نفس المصدر - ج 1 من 126 .

فهم بالإيسدي مقىساته

مقدرات ومخيطاته (27)

2 - المعنى الاصطلاحى :

اما في الاصطلاح فلم نجد من عرف القياس اللغوى تعزينا كاملا لأن الذين بحثوا في هذا الموضوع خلطوا بين تعريف القياس اللغوى وتعريف القياس النحوى ومن هذا الخلط في التعاريف فضلنا تعريف ابن البارى بعد أن حذفنا منه بعض الالفاظ التي تجعل منه حدا للقياس النحوى الذى ذكره في جملة وهو : (حمل غير المقول على المقول اذا كان نسى معناء) (28) :

وقد اختار هذا التعريف من المحدثين الاستاذ احمد الاسكندرى فقد عرف القياس اللغوى بأنه (حمل الكلمة على نظيرها في حكم) (29) واختاره من المحدثين ايضا الدكتور ابراهيم انيس (30) واليه ذهب الدكتور مهدى المخزومى وبعد ان شن حملة على الذين تمسكوا بالاستنتاج العقلى والتعليل والتقدير والتاولى في اللغة والنحو ذكر ان القياس الذى يجب ان يتبع في دراسة اللغة والنحو هو القياس القائم على أساس حمل مجهول على معلوم وحمل ما لم يسمع على ما سمع وحمل ما يجد من تعبير على ما اخترته الذاكرة وحفظته ووعته من تعبيرات وأساليب كانت قد عرفت او سمعت ، وذكر ايضا ان هذا القياس هو الطريق الطبيعي لنبو مادة اللغة واتساعها (30) مكرر .

ب - أنواع القياس والقياس المراد بحثه :

تجري كلمة القياس عند البحث في معانى الالفاظ العربية وأحكامها فتفرد على أربعة وجوه :

احدها : حمل العرب لبعض الكلمات على أخرى واعطاها حكمها لوجه يجمع بينهما كما يقال : اعرب الفعل المضارع قياسا على الاسم لشبيهه منه في

(27) لسان العرب - مادة (قيس) .

(28) الاقتراح - للسيوطى ص 38 .

(29) مجلة مجمع اللغة العربية ج 4 من 174 .

(30) من أسرار اللغة - ابراهيم انيس من 16 .

(30) (مكرر) في النحو العربي ، نقد وتوجيه للدكتور مهدى المخزومى من 20 .

(31) دراسات في العربية وتاريخها من 27 .

احتماله لمان لا يتبنى المراد منها الا بالاعراب . والى هذا اشار الزمخشرى في بعض مقاماته بقوله (ضارع الابرار بعمل التواب الاول ، فال فعل لمضارعته الاسم ناز بالاعراب) .

وكما يقال : دخلت النساء خبر الموصل فنحو قوله : (من يأتينى فله درهم) قياسا للموصول على الشرط لشبيهه اياه في افاده العموم .

وكما يقال : نصبت لا الثانية للجنس الاسم ورفعت الخبر قياسا على ان لشبيهتها ايها في التوكيد ، فان لا ثانية لتأكيد النفي كما ثانية ان لتأكيد الابيات .

والقياس بهذا المعنى واقع من العرب انفسهم ويفكر النحاة تبعيا على ملة الحكم الثابت عنهم بالنقل الصحيح (31) .

وقد تقدم التعقب على هذا النوع من انواع القياس وانه من عمل النحاة انفسهم ، وليس هذا الضرب من القياس داخلا في موضوعنا .

ثانيها : ان تعمد الى اسم وضع لمعنى يشتمل على وصف يدور معه الاسم وجودا وعدما ، فتعمد الى هذا الاسم الى معنى آخر تحقق في ذلك الوصف وتجعل هذا المعنى من مدلولات ذلك الاسم لغة ، ومثال هذا اسم الخمر عند من يراه موضوعا للمعتبر من العنبر خاصة ، وما وضع للمعتبر من العنبر الا لوصف هو مخامرته للعقل وستره ، فإذا وجد عصرا من غير العنبر يشارك المعتبر من العنبر في الشدة المفرية المخمرة للعقل . فان من يقول بصحة هذا القياس يجعل هذا العصر من افراد الخمر ويسمى خمرا تسمية حقيقة لغوية .

وهذا الضرب من القياس هو الذى ينظر اليه علماء اصول الفقه عند ما يتعرضون لمسألة (القياس نفس الشريعة) .

• (27) لسان العرب - مادة (قيس) .
• (28) الاقتراح - للسيوطى ص 38 .
• (29) مجلة مجمع اللغة العربية ج 4 من 174 .
• (30) من أسرار اللغة - ابراهيم انيس من 16 .
• (30) (مكرر) في النحو العربي ، نقد وتوجيه للدكتور مهدى المخزومى من 20 .
• (31) دراسات في العربية وتاريخها من 27 .

تخرج عن اختلاف الكلمات ببعض حروفيها أو حال من أحوالها كالحركة والسكن أو الاعراب والبناء أو الفك والادغام أو التصحيح والتعليق أو الامالة والتخييم أو ترتيب الحروف أو المد والقصر أو الاتمام والتنفس أو الاعمال والاهماں او التذكرة والتائیث ، وقد يكون الاختلاف في بعض الالفاظ من حيث وضعها في لغة المعنى ووضعها لمعنى آخر في لغة أخرى وهذا ما يطلق عليه بالاشراك اللغوي او من حيث استعمال لفظ في لغة المعنى واستعمال لفظ آخر في لغة غيرها لذلك المعنى وهذا ما اصطلاح عليه بالترادف . والترادف والاشراك ميزتان من مميزات اللغة العربية .

وقد تختلف هذه اللغات في بعض وجوه النظم كتقديم عامل «كم» الخبرية عليها فإنه يقدم في لغة ولا يقدم في أخرى .

تناوالت هذه اللغات بالجودة وفصاحة اللهجة وجميعها مما يصحقياس عليه ، قال ابن جنی في الخصائص : (اللغات على اختلافها كلها حاجة ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء) (33) وقال أبو حیان في شرح التسهيل : (كل ما كان لغة لقبيلة صحقياس عليه) .

وبعد هذه المقدمة نأخذ الاصول التي ذكرها السیوطی واحدة بعد الأخرى بشيء من التفصیل .

١ - القرآن الكريم :

لم يتوفّر لنص ما توفر للقرآن الكريم من توادر روایاته وعنياته العلماء بضبطها وتحريرها متدا وتدوينا ، وضبطها بالشافعیة عن آفواه العلماء الابنات الفصحاء الابناء من التابعين عن الصحابة عن رسول الله (ص) فهو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل اليها في الاداء والحركات والسكنات ، ولم تعتن امة بنص كما اعتنی المسلمين بنص قرآنهم .

فالقرآن لا شك هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة ، أما الخلاف فقد وقع في القراءات .

ثالثها : الحق اللفظ بامثاله في حكم ثبت لها باستقراء كلام العرب حتى انتظمت منه قاعدة عامة كصيغ النسب والتصغير والجمع واصل هذا ان الكلمات الواردة في كلام العرب على حالة خاصة يستتبع منها علماء العربية تامة تخول المتكلم الحق في ان يقيس على تلك الكلمات الواردة ما ينطق به من امثالها .

وقد اطلقوا على هذا النوع من القياس اسم القياس الاصلى وهو الذى سنتكلم عنه كموضوع البحث .

رابعها : اعطاء الكلم حكم ما ثبت لغيرها من الكلم المخالفة لها في نوعها ، ولكن توجد بينهما مشابهة من بعض الوجوه ، كما اجاز الجمهور ترخييم المركب المجزي قياسا على الاسماء المنتهية ببناء التائیث ، وكما اجازت طائفة حذف الضمير المجرور العائد من الصلة الى الموصول متى تعین حرف الجر قياسا على حذف الضمير العائد من جملة الخبر الى المبتدأ فتقول : (مضيت الليلة التي ولدت في سرور) اى ولدت فيها لانك تتقول : هذا الكتاب الورقة تساوى درهما اى الورقة منه بدرهم .

وقد اطلق بعض الباحثين على هذا النوع من القياس اسم قياس التمثيل للفرق بينه وبين القياس الاصلى :

(الفصل الثاني)

القياس الاصلى وما يقاد عليه

ذكر السیوطی في الاقتراح ان الكلام الذي يوثق بفصاحتته يشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم وكلام نبیه (ص) وكلام العرب قبل بعثته وفي زمانه وبعدة الى ان فسست الالسنة بكلة المولدين نظما ونشرا عن مسلم او كافر وهذه ثلاثة انواع لا بد في كل منها من الثبوت (32) .

واللسان العربي يجمع تحت اسمه لغات شتى ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يسيرا ، وجوه هذا الاختلاف معضلة في كتب فقه اللغة وآدابها ولا تکاد

(32) الاقتراح للسیوطی ص 14

(33) الخصائص ج 2 ص 10 .

من اختلاف ، وكانه كان يرمي الى أن اللهجات على اختلافها حجة يصح الاستشهاد بها على أصل من أصول العربية والاستناد اليها في بناء قاعدة من تواعدها) 36 .

ان اللغويين والنحاة اتبوا بنوا تواعدهم على كلام العرب بجمع نتف ثورية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك ، من اعرابي في الشمال الى امرأة في الجنوب ، ومن شعر لا يعرف قائله الى جملة غير منسوبة .. يجمعون هذا الى آنوال معروفة مشهورة ويضمنون تواعده تصدق على اكثر ما وصل اليهم بهذا الناتص الذي لا يستند الى خطة محكمة في الجمع ، ثم يسددون هذه التواعد بمقاييس منطقية يزيدون اطرادها في الكلام ، حتى اذا انت بعضهم قراءة صحيحة السندي تختلف تباعدته القياسية طعن فيها وان كان تارئها ابلغ وأعرب من كثير من يحتاج التحوى بكلامهم ، فلما استقراؤه كامل او كاف ، ولا لشواهده التي استند اليها بعض ما للقراءة الصحيحة من التوة ، ولا اللغة تخضع للمقاييس المنطقية التي ابتدعها ، وغير ما يصف اضطراب موقفهم هذا قول الرازي : (اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى ، وكثيرا ما ترى التحويين متحمرين في تفسير الالفاظ الواردة في القرآن ، فإذا استشهدوا في تبريرها ببيت مجهول فرحو به وانا شديد التعجب منهم فائم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها فلان يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى) (37) وفي هذا المعنى قال ابن حزم في النصل : (من النحاة من ينتزع من المدار الذى يقف عليه من كلام العرب حكم لفظيا ويتخذه مذهبا . ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ فى صرف الآية عن وجهها) .

وقال في موضع آخر : (ولا عجب اعجب من ان وجد لامرئ القيس او لزهير او لجرير او الحطيئة او الطرامح او لاعرابي اسدى او ديلمى او تمىمى

فالكونيين يعتبرونها مصدرا هاما من مصادر الدراسات اللغوية ، أما البصريون فقد وقروا منها موقفهم من سائر النصوص اللغوية وأخضموها لاصولهم وأقيساتهم ، مما وافق منها اصولهم ولو بالتأويل قبلوه ، وما اباهوا رفضوا الاحتجاج به ووسموه بالشنوذ كما رفضوا الاحتجاج بكلم من الروايات اللغوية وعدوها شاذة تحفظ ولا يقاس عليها .

اما المحدثون فقد ذهب أحد الاساتذة الى أنها غير متواترة ، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القاريء وبين ما هو منقول بخبر الواحد ، ولذلك فهي ليست بحجة (34) .

وذهب الاستاذ سعيد الانقاني الى أنها متواترة ويجيء القياس عليها بقوله : (وبعد فقراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وآحادها وشاذها . واكبر عيب يوجه الى النحاة عدم استيعابهم اياما واضاعتهم على انفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها ولو قطعوا لكان تواعدهم اشد احكاما) (35) .

وعلى الرغم من ان القراءات غير متواترة وانها اجتهاد من القراء انتفسهم — كما يقول الخوئي في كتابه البيان — الا أنها يمكن اعتبارها مصدرا من المصادر المهمة للوقوف على وجوه الاختلاف بين اللهجات العربية ، لأن القراءات هي المصدر الصحيح الذي حفظ لنا اللغة العربية ممثلة فيها اللهجات لما عرف به القراء في المصور المختلفة من دقة في التلقى والتلقين ومن ضبط واتصال في الرواية .

يؤيد هذا ما لاحظه ابن خالويه من ان كلا من الائمه القراء كان (يذهب في اعراب ما انفرد به مذهبها من مذاهب العربية لا يدفع قصد من القياس وجها لا يمنع) .

كما كان يريد القول بأن اختلاف القراءات يبني على ما بين اللهجات العربية التي قرأت بها القرآن

(34) البيان في تفسير القرآن للخوئي ص 137

(35) في اصول النحو ص 40

(36) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة وان نحو لمدى المخزوبي من 347

(37) تفسير فخر الدين الرازي ج 3 من 193